فاعلية المعاني النحوية في فهم الآيات القرآنية واستنباط أحكامها الشرعية

أ. عبد الحميد بوترعه - جامعة الوادي

ملخّص:

نتناول في هذا المقال دراسة الدور الكبير الذي يؤدّيه علم النحو كواحد من أهمّ علوم اللسان و ماله من صلة قويّة بتفسير كتاب الله و تيسير فهم آياته و تحقيق الوصول إلى الكشف عن دلالاته من أحكامٍ فقهيّةٍ ، وتوجيهاتٍ سلوكيةٍ ، و قضايا تعبدّيةٍ، وهذا من خلال الوقوف على بعض الآيات القرآنية من الذكر الحكيم و دراسة المعاني النحوية التي تفيدها تراكيبها النحويّة و إبراز ما لها من فاعلية و دورٍ كبير في توجيه معاني تلك الآيات من النص القرآنيّ كونه أعلى النصوص العربية بناءً وأسلوبًا و فصاحةً وبلاغةً .

Résumé :

Nous abordons dans cet article est l'étude du grand rôle fait par la science de grammaire les plus importants des sciences de la langue, et forte de liaison du Qoran et faciliter la compréhension des leurs verse et d'accéder à la découverture de ses sens et leurs notions. tenant debout quelques versets du Saint Qoran et l'étude des significations grammaticales qui ont été utiles grammaticale leurs structures et mettent en évidence l'efficacité un grand rôle dans l'orientation la signification de ces versets du Saint Coran étant le plus textes arabes haut style et de l'éloquence et de la rhétorique .

مقدمة :

لعلوم اللسان أربعة أركان علم اللغة ، النحو و البيان و الأدب . ومعرفتها كما يقول العلاّمة ابن خلدون ضرورية على أهل الشريعة إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلّها من الكتاب و السنة فلابدّ من معرفة العلوم المتعلّقة بهذا اللسان لمن أراد علوم الشريعة ، و يُعدّ علم النحو الأهمّ المتقدّم منها إذ به يتبيّن أصول المقصد بالدلالة ، ولولاه لجهل أصل الإفادة ، فهو من أهمّها إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملة [1]

والصلة بين النحو والتفسير صلة وثيقة فقد اهتمّ كثير من القدماء بفاعلية المعنى النحوي في شرح النصوص وتفسيرها ، و يمكن أن تلمس ذلك في بعض تفاسير القرآن الكريم ، وبعض شروح الشعر و تفسير تراكيبه على تفاوت في ذلك [2] ، يقول ابن هشام الأنصاري (761هـ) « فإنّ أوّل ما تقترحه القرائح وأعلى ما تجنح إلى تحصيله الجوانح مما يتيّسر به كتاب الله المنزّل ويتّضح به معنى نبيه المرسل ، فإنهما الوسيلة إلى السعادة

المنارة للاستشارات

الأبدية و الذريعة إلى تحصيل المصالح الدينية و الدنيويّة وأصل ذلك علم الإعراب الهادي إلى صواب الصواب »[3]

ومن منطق هذه العلاقة بين تفسير النص وفهمه ، والنحو وما له من دور فاعل في الكشف على تلك الدلالة التي يتضمنها النص ، نُحاول في مقالنا هذا الإجابة على جملة من التساؤلات :

- ما مفهوم النحو وما الغاية التي يُحقّقها ؟ وفيما تبرز أهميته؟
- ما العلاقة بين النحو و الدلالة ؟
- وما العلاقة بين النحو و التفسير ؟
- كيف تتّضح قيمة النحو في تحليل النصوص القرآنية وما استنبطه العلماء من دلالات ناتجة عن ترتيب الكلمات ووظيفتها داخل هذه النصوص وفقا لقواعد هذا العلم ؟.

- **مفهوم النحو وغايته :**

- **النحو لغة :**

من الفعل نحا ينحو الشيء= قصده ، والنحو جمعه أنحاء = الجانب ، الجهة ، الطريق، المثل ، المقدار، القصد.ويكون ظرفا واسما [4] .وجمعه أنحا و نحوٌ ، نحاه ينحوه و ينحاه : قصده كانتحاه . و رجل ناحٍ من نحاة : نحويّ.[5] و هو علم يعرف به أحوال أواخر الكلام إعرابا وبناء و النحويّ العالم بالنحو .[6]

- **اصطلاحا :**

لقد تعرّض العلماء قدماء ومتأخرون لتعريف النحو، عرّفه الأشموني (900هـ) بأنّه العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها ، و جعله ابن عصفور قسيم الصرف ، وموضوعه الكلم العربية من حيث ما يعرض لها من الإعراب والبناء[7]. و عرّف الشريف الجرجاني النحو بأنّه علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب و البناء و غيرها ، وهو علم بأصول يعرف بها صحة الكلام [8].

فهو علم المقاييس الدقيقة لصحة الكلام ، وهو الأداة التي توصلنا لفهم التراكيب و تحليلها و يمكننا من الحصول على الفائدة منها ، و الجاهل به تنقصه الأداة الضرورية للفهم ، و يكون عجزه بقدر نقصه فيه .[9]. ولعلّ ابن جني في تعريفه كان أشمل و أكثر دقّة فالنحو عنده انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب و غيره ، كالتثنية و الجمع و التحقير و التكسير و الإضافة و النسب و التركيب ، وغير ذلك، ليلحق من

المنارة للاستشارات

ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها و إنْ لم يكن منهم . وإنْ شذّ بعضهم عنها ردّ إليها .[10]

- أهميّة النحو:

نشأ النحو بسيطا على يد أبي الأسود الدؤلي ثمّ أخذ ينمو شأن كلّ وليد ، وتتّسع قواعده و تتّضح معالمه في رحاب القرآن الكريم ، إذ سعى على الحفاظ على سلامته من اللحن و هو واجب ديني و أوّل ما تبادر إلى أذهان العلماء في الحث على تعلّم إعرابه و تعليمه و إلى توثيق نصّه حفظا له من الخطأ في قراءته و من اختلال روايته ، ومن اللحن بظبطه مبكّرا [11]

و ليست أهميّة النحو مقصورة على حفظ القرآن الكريم من اللحن ، وإنّما شأنه شأن العلوم الإسلامية الأخرى نشأ أيضا لفهم معاني القرآن ، فهو يقصد إلى البحث عن كلّ ما يفيد في استنطاق النص و في معرفة ما يؤدّيه التركيب القرآني على وجه الخصوص باعتباره أعلى ما في العربية من بيان . ومن هنا كان هذا النشاط النحويّ القديم على الوجه الذي نعرفه من كثرة علمائه و تفرّع مذاهبه ووفرة مادّته [12].

يقول عبد القاهر الجرجاني(471هـ) مُوضّحًا أثر النحو في ترتيب الكلمات وفقا للمعاني التي تجول في النفس : « لا محصول لها - الكلمات- غير أنْ تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا ، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثاني صفة للأول أو تأكيدا له أو بدلا منه ... »[13]، كما يبيّن أنّ النظم هو توخّي معاني النحو فيقول : « اعلم أن ليس النظم إلاّ تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، و تعمل على قوانينه و أصوله ، و تعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، و تحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخلّ بشيء منها »[14] ويضيف قائلا في أهمية النحو ومعانيه في حسن النظم و صحته : « فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده ، أو وصف بمزية و فضل فيه ، إلاّ و أنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد و تلك المزية وذلك الفضل، إلى معاني النحو وأحكامه ، ووجدته يدخل في أصل من أصوله ويتصل بباب من أبوابه »[15].

وقد بيّن كثير من العلماء غير النحاة غاية النحو منهم ابن حزم الظاهري الذي يرى أنّ النحو هو ترتيب العرب لكلامهم الذي به نزل القرآن ، و به يفهم معاني الكلام التي يعبر عنها باختلاف الحركات و بناء الألفاظ . ومنهم أيضا أبو حامد الغزالي الذي يرى أنّ النحو يفهم به خطاب العرب و عادتهم في الاستعمال إلى حدّ يميز بين صريح الكلام و

المنارة للاستشارات

مجمله ، و حقيقته ومجازه ، وعامّه و خاصّه ، ومحكمه ومتشابهه ، ومطلقه و مقيده ، ونصه و فحواه ، ولحنه و مفهومه [16] .

فالنحو هو دعامة العلوم العربية وقانونها الأعلى منه تستمد العون وتستلهم القصد و ترجع إليه في جليل مسائلها و فروع تشريعها و هو وسيلة المستعرب وسلاح اللغوي وعماد البلاغيّ وأداة المشرّع و المجتهد ، والمدخل إلى العلوم العربية والإسلامية جميعا [17]

- مفهوم الدلالة النحوية :

لا يمكن فصل علم الدلالة عن العلوم اللغوية الأخرى ، فهي تستعين به في دراساتها و تحليلاتها ، وهو أيضا يستعين بها في آداء وظيفته ، فمن هاته العلوم علم الأصوات ، وعلم الصرف إضافة إلى علم النحو الذي يركز على مراعاة الجانب النحوي أو الوظيفة النحوية لكل كلمة داخل الجملة . ولو لم يدّ تغيير مكان الكلمات في الجملة (تغيير الوظيفة النحوية)إلى تغيير المعنى ما كان هناك فرق بين قولك : طارد الكلب القط ، و طارد القط الكلب ، و قد تتفق كلمات الجمل المتشابهة و لكن يكون الاختلاف في توزيع المعلومات القديمة (الموضوع)و الكلمات الجديدة(المحمول) [18]

إذن فمِن المُؤكّد أنّه لا أحد يُنْكر العلاقة بين النحو والدلالة ، والتأثير المتبادل بينهما ، فالدلالة النحوية هي الدلالة المحصّلة من استخدام الألفاظ أو الصور الكلامية في الجملة المكتوبة ، أو المنطوقة على المستوى التحليلي أو التركيبي. وأنّ الكلمة المفردة لا تشكّل قيمة تواصلية ذات بال و هي تكتسب حياتها من إدخالها في التأليف ، ولا يتضح معناها إلاّ من خلال السياق .[19] كما تكتسب الكلمة فيها تحديدا و تبرز جزءا من الحياة الاجتماعية و الفكرية عندما تحل في موقع نحويّ معين في التركيب الإسنادي وعلاقاتها الوظيفية: الفاعلية ، المفعولية، الحالية، النعتية، الإضافة ، التمييز، الظرفية [20].

وتعدّ العلامة الإعرابيّة واحدة من عديد القرائن الدالة على المعاني النحوية التي أولاها العلماء العرب القدماء اهتماما كبيرا فأمعنوا النظر في النص القرآني و نصوص الشعر العربي القديم ، فصار موجودا في التراث العربي ما يسمّى بالإعراب الوظيفي أو الدلالي ، الذي يهتم بتقديم إمكانيات التعدّد في الأوجه الإعرابية للكلمة الواحدة داخل النص المعيّن ، بحيث يتخصّص كلّ وجه من وجوه هذا التعدّد الإعرابي بدلالة خاصّة لا يؤدّيها الوجه الإعرابيّ المقابل الذي تحتمله الكلمة نفسها في التركيب النحوي نفسه . [21]

المنارة للاستشارات

ولقد كان النحو العربي منذ نشأته الأولى مُهتمًا بالمعنى ، يُعتدُّ به، وبأثره في التقعيد، يمدّ الجملة بمعناها الأساسيّ الذي يكفل لها الصّحة والسلامة، ويُحدّدُ عناصر معناها، ويكشف ترتيبها، لأنّ الجملة هي الغاية الأولى لكل نظام نحوي[22]. فمن الحقائق المقررة في الدرس الحديث أن | النحو – بما هو درس للتركيب أو الجملة – إنّما يدرس " المعاني النحويّة " و ليس المعاني المعجميّة " ، أي أنّه يدرس معاني الأشكال ذاتها ، أو المعاني التي تؤدّي إليها " البنية اللغويّة " ، و العلاقات التي تمثّلها العناصر التي تتركّب معا في الكلام . [23]

العلاقة بين النحو و التفسير :

القرآن الكريم هو الأصل الأول من أصول النحو ، و الدليل المتواتر الذي يفيد العلم اليقيني من أدلّته و العربية وعاؤه ، وهو كتابها الأكبر و حارسها الخالد ، ومادّها بأسباب الحياة ، وناشرها في أرجاء الأرض و ينبوع علومها ، و النحو في الصدارة منها . فأقبل النحويون على كتاب الله عز وجلّ يعربون آياته و يفسّرون معانيه ، فأبلوا بلاء حسنا في توثيق نص القرآن الكريم بالاحتجاج للقراءات و بيان عللها ووجوهها و اختلاف قرائها مهيِّئين بذلك لعلماء التفسير الوسيلة الفعّالة لفهم معانيه و الاجتهاد في أحكامه و تفصيل آدابه .[24]

فالعلاّمة ابن خلدون عَرض للصلّة الوثيقة بين علم التفسير و سائر علوم اللسان التي يُعدّ علم النحو واحدًا منها إذْ ذكر أنّ القرآن نزل بلغة العرب و على أساليب بلاغتهم ، فكانوا كلّهم يفهمونه و يعلمون معانيه في مفرداته و تراكيبه . و كان ينزل جملاً جملاً ، و آيات آيات ، لبيان التوحيد و الفروض الدينيّة بحسب الوقائع . ومنها ما هو في العقائد الإيمانيّة ، ومنها ما هو في أحكام الجوارح ، ومنها ما يتقدّم ومنها ما يتأخّر و يكون ناسخا له . و كان النبي صلّى الله عليه وسلّم هو المبيّن لذلك ، يبيّن الجمل ، ويميّز الناسخ من المنسوخ ، ويعرّفه أصحابه ، فعرفوه .ثمّ صارت علوم اللسان صناعية من الكلام في موضوعات اللغة و أحكام الإعراب و البلاغة في التراكيب ، فوضعت الدواوين في ذلك ، بعد أن كانت ملكات للعرب لا يرجع فيها إلى نقل و لا كتاب ، فتنوسي ذلك و صارت تتلقى من كتب أهل اللسان ، فاحتيج إلى ذلك في تفسير القرآن ، وصار التفسير على صنفين تفسير نقلي مستند إلى الآثار المنقولة عن السلف و تفسير عقلي يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة و الإعراب و البلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد و الأساليب .[25]

- دور القواعد النحوية في توجيه دلالة النص القرآني:

المنارة للاستشارات

حتى تتضح قيمة النحو ودوره الفاعل في تحليل النصوص وتحديد دلالتها، يمكن الوقوف على بعض الآيات القرآنية ، وما استنبطه العلماء من دلالات ناتجة عن اختيار الكلمات وترتيبها داخل هذه النصوص وفقا لقواعد النحو.

• [ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هدًى للمتقينَ] [26]

في قوله تعالى لفظ (ذلك) اسم إشارة في محل رفع مبتدأ واللام للبعد والكاف للخطاب . (الكتاب) خبر ذلك ، وهو أولى من جعله بدلا من اسم الإشارة لأنه قصد به الإخبار بأنه الكتاب المقدس المستحق لهذا الاسم تدعيما للتحدي ، الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص ، وأنه الذي يستأهل أن يسمى كتابا ، والجملة الابتدائية لا محل لها من الإعراب على أنه يجوز جعله بدلا من اسم الإشارة فتكون جملة (لا ريب فيه) خبرا لاسم الإشارة ، و(هدى) خبر ثالث لذلك لاعتبار (لا ريب فيه) حال [27]. قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور :(اسم الإشارة مبتدأ أو الكتاب خبرا ، وعلى الأظهر تكون الإشارة إلى القرآن المعروف لديهم يومئذ . واسم الإشارة مبتدأ أو الكتاب بدل وخبره ما بعده والإشارة إلى الكتاب النازل بالفعل وهي السور المتقدمة على سورة البقرة لأن كل ما نزل من القرآن فهو المعبر عنه بأنه بأنّه القرآن وينظم إليه ما يلحق به ،فيكون الكتاب على هذا الوجه أطلق حقيقة على ما كتب بالفعل ، ويكون قوله تعالى على هذا الوجه خبرا عن اسم الإشارة ، ويجوز أن تكون الإشارة على جمع القرآن ما نزل منه وما سينزل لأن نزوله مترقب فهو حاضر في الأذهان فشبه بالحاضر في العيان ، فالتعريف فيه للعهد التقديري ، والإشارة إليه للحضور التقديري فيكون قوله الكتاب حينئذ بدلا أو بيانا من ذلك والخبر هو لا ريب فيه).[28]

* قال تعالى: [ولا تأكُلوا ممّا لمْ يُذْكَر اسمُ الله عليه، وإنَّهُ لفسقٌ]. [29]

قال الشهاب الحلبي قوله ((وإنّه لفسق)) هذه الجملة فيها أوجه:

1-إنّها مستأنفة ، قالوا لا يجوز أن تكون نسقا على ما قبلها لأنّ الأولى طلبية وهذه خبرية ، وتسمّى هذه الواو واو الاستئناف

2- إنّها منسوقة على ما قبلها ، ولا يبالي نتجا لفهمها ، وهو مذهب سيبويه .

3- إنّها حالية : لا تأكلوه والحال أنّه نسق .

هذا الاختلاف في الحركة الإعرابية نتج عنه اختلاف في الحكم الشرعي وهذا واضح فيما يأتي :

1 ذهب قوم إلى تحريمها ، سواء أتركها عمدا أو نسيانا وهو قول ابن سيرين والشعبي ومالك بن أنس .

المنارة للاستشارات

2 قال الثوري وأبو حنيفة : إن ترك التسمية عامدا لا تحل وإن تركها ناسيا حلت .
3 وقال الشافعي : تحل الذبيحة سواء أترك التسمية عامدا أو ناسيا ، ونقله ابن الجوزي عن أحمد بن حنبل[30]

* قال تعالى: [يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] .[31]

في الآية نهي عن الربا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم إذا بلغ الدين محله زاد في الأجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون .[32]

لا ناهية ، تأكل فعل مضارع مجزوم بلا الناهية واو فاعل ، والربا مفعول به وأضعاف حال ومضاعفة صفة جاءت الصفة لتنفي القلة التي يعبر عنها جمع القلة.[33]

وذكر ابن عاشور أن ظاهر هذه الآية نزلت قبل نزول آية –سورة البقرة- فكانت هذه تمهيدا لتلك ولم يكن النهي فيها بالغا ما في سورة البقرة وقد روي أن آية البقرة نزلت بعد أن حرم الله الربا ، وأن ثقيفا قالوا : كيف ننهى عن الربا الفاحش وسكت عم دون ذلك مما لم يبلغ مبلغ الأضعاف ، ثمّ نزلت الآية التي في – سورة البقرة – ويحتمل أنْ يكون بعض المسلمين داين بعضًا بالمراباة عقب غزوة أحد فنزل تحريم الربا في مدّة نزول قصّة تلك الغزوة .[34]

فالآية لا تدلّ على إباحة الربا القليل ، بل تشير إلى طبيعة الربا المتداول بين الناس في العصر الجاهلي ، وهو أنّه يتضاعف أضعافًا مضاعفة ، فإذا عجز المدين عن السداد في الوقت المحدّد طالب بتمديد المدّة مقابل مضاعفة الربا ، وبهذا يتضاعف عدّة مرّات ف (أضعافا مضاعفة) ليست قيدا أو شرطا لتحريمه ، بل هو وصف لبيان الواقع التاريخي الذي كان عليه الناس في ذلك الزمان .[35]

* قال تعالى: [ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ] [36]

في هذه الآية قرأ الجمهور (الحق) بالجرّ ، وقرأ الحسن البصري بالنصب ، فالنصب على المصدر (حقًا) أو بتقدير فعل (أعني) أو على المدح كقولك (الحمد لله الحقّ).

و بالجرّ صفة لـ (مولاهم) ، و هو الأرجح عند النحاة و المفسّرين لأنّ في الوصف دلالة على الثناء و التعظيم لله تعالى ، و التأكيد على انفراده سبحانه بصفة الألوهية الحقّة ، فهو الإلاه الحقّ لأنّه موجِد الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة ، بفعل واقع بقدر ما يجب و في الوقت الذي يجب .[37]

* [قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ] [38]

في هذه الآية يتوقّف الحكم الشرعي على عود الضمير في (فإنّه رجْس) و فيه قولان :

المنارة للاستشارات

1- يعود الضمير على أقرب مذكور فيكون الخنزير كلّه محرّمًا ، و إلى هذا ذهب ابن حزم

2- يعود الضمير على المضاف و هو (لحم) فيكون اللحم دون غيره محرّما ، و إلى هذا ذهب أبو حيان الأندلسي، فهو يرى أنّ أقرب مذكور فضلة وهو المضاف إليه (خنزير) أمّا المتحدّث عنه الذي يجب أنْ يعود عليه الضمير حتى إنْ لم يكنْ الأقرب فهو (لحم) .[39]

• [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ] [40]

في لفظة (أرجلكم) قرأ نافع و ابن عامر و الكسائي بالنصب ، وقرأ ابن كثير و حمزة و غيرهما بالجرّ .

- فبالنصب عطف على أيديكم و المعنى على هذا الوجه : اغسلوا وجوهَكم و أيديَكم و أرجلَكم .

- و بالجرّ عطف على رؤوسكم ، وعليه توجّه إلى المسح للرجليْن كما هو واجب على الرأس[41]

ففي هذا اختلف علماء التفسير و تباينت آراؤهم ممّا كان نُسب للرسول صلّى اللّه عليه و سلّم هلْ كان يغسل رجليْه أوْ يمسحهما . كما اختلفوا أيضًا في الباء في (برؤوسكم) قال بعضهم للتبعيض ، و جعلها قومٌ زائدة و جعلها قومٌ للإلصاق على الأصل ، و قال بعضهم إنّها باء الاستعانة فإنّ (مسح) يتعدّى إلى مفعول بنفسه ، و هو المزال عنه ، و إلى آخر بحرف الجرّ و هو المُزيل ، فيكون تقدير الآية : فامسحوا أيديكم برؤوسكم .[42]

وقد ترتّب عن هذه الآراء النحويّة اختلاف في الحكم الشرعي ، فقد رأى الزمخشري أنّ المراد إلصاق المسح بالرأس و ماسح بعضه و مستوعبه بالمسح ، كلاهما ملصق للمسح برأسه . و أخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب أو أكثره على اختلاف الرواية . و أخذ الشافعي باليقين فأوجب أقلّ ما يقع عليه اسم المسح و أخذ أبو حنيفة ببيان رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم وهو ما رُوي أنّه مسح على ناصيته و قدّر الناصية بربع الرأس .[43]

• [وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ] [44]

اختلف في (مِنْ) في كلٍّ من (من جبال) و (من برد)

. ذهب بعضهم إلى أنّ (من) في (من جبال) للتبعيض ، وفي (من برد) للبيان فيقدّر بـ (ينزل من السماء بعض جبال فيها التي هي البرد) .

. و قيل (مِنْ) الأولى والثانية للابتداء ، و الأخيرة – أي الثالثة – للتبعيض و معناه (أن ينزل البرد من السماء من جبال فيها) .

المنارة للاستشارات

. و قال الأخفش (مِنْ) الثانية و الثالثة زائدتان كأنّه قال : و ينزّل من السماء جبالا فيها – أي في السماء –بردا . و بردا بدل أيْ برد جبال .
و هناك أقوال أخرى غير هذا .[45]

خاتمة :

في ختام هذا المقال نكون قد وقفنا على بعض الآيات من الذكر الحكيم التي اتّخذناها نماذج حاولنا من خلالها الكشف على الدور الكبير الذي تلعبه القواعد النحويّة خاصّة و علم النحو عامّة في تيسير الوصول إلى فهم دلالات النص القرآني ، وما يُسْفر عنه من أحكام شرعيّة و توجيهات ربّانية نظرًا للارتباط الوثيق بينه –علم النحو- كواحدٍ من علوم اللسان مع علم التفسير و الفقه و غيرها من العلوم التي تتصدّى للنص القرآنيّ كمصدرٍ رئيسيّ أوّل من مصادر التشريع الإسلاميّ بالدرس و التحليل .

هذا ما حاولنا تأكيده بالفعل من خلال تلك العلاقة الواضحة بين علامات الإعراب ووظيفة الكلمات وموقعها في الجمل بالدلالة لأنّ في تعدّد الأوجه الإعرابيّة في التركيب الواحد يترتّب عنه تعدّد المعاني و الدلالات و الأحكام المستنبطة من هذا الوجه أو ذاك .

فتعدّد المعاني الإعرابيّة ينسجم مع النهج الذي اتّبعه اللغويّون و المفسّرون و النحويّون و الأصوليّون العرب القدماء في التعامل مع النص القرآني المنطوي على معانٍ مطلقة لا تنقضي عجائبها بتعدّد أوجه تأويلها و تفسيرها ممّا أبقى على هذا النص القرآني نصّا عاليا[46] بإحكام نظمه و حسن بلاغته و عمق دلالاته .

الهوامش :

[1] ينظر : مقدمة ابن خلدون ، تح حامد أحمد الطاهر ، دار الفجر للتراث القاهرة مصر ،ط1 ، 1425ه/2004م ، ص 700-701

[2] ينظر : النحو والدلالة ، محمد حماسة عبد اللطيف ،دار الشروق القاهرة مصر ، ط1 1420ه/2000م ، ص 177-180.

[3] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ، شركة أبناء الشريف الأنصاري للطباعة و النشر و التوزيع المكتبة العصرية للطباعة والنشر الدار النموذجية ، صيدا بيروت لبنان ، مصر ، (د.ت) ، 13/1 .

[4] ينظر المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق بيروت، لبنان، ط 29، (د.ت)،ص 276

المنارة للاستشارات

[5] القاموس المحيط ، الفيروزأبادي ، شركة الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت لبنان ، (باب الواو فصل النون) ص 1716-

[6] المعجم الوسيط إبراهيم مصطفى و آخرون ، مجمع اللغة العربية القاهرة مصر ، 1380ه/ 1960م ، ص 964

[7] ينظر : نحو التيسير ، أحمد عبد الستار الجواري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1404ه/1984م ، ص16

[8] ينظر: كتاب التعريفات ، الشريف الجرجاني ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت لبنان ، ط1 ، 1425هـ-1426هـ/2005م ، ص166

[9] النحو و كتب التفسير، إبراهيم عبد الله رفيدة ، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان ، مصراته ليبيا ، ط3 ، 1399هـ/1990م

[10] الخصائص ، ابن جني ، تح محمد علي النجار ، عالم الكتب للطباعة و النشر و التوزيع بيروت لبنان ، ط2، 1431ه/2010م ، ص68

[11] ينظر : النحو و كتب التفسير، إبراهيم عبد الله رفيدة ص 48

[12] ينظر: النحو العربي و الدرس الحديث ، عبده الراجحي ، دار النهضة العربية بيروت لبنان ، 1979 ، ص11

[13] دلائل الإعجاز، الجرجاني ، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر مكتبة الخانجي للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة مصر ، 1984 م ص55

[14] المصدر نفسه ، ص81

[15] المصدر نفسه ، ص83

[16] ينظر : النحو والدلالة ، محمد حماسة عبد اللطيف ، ص 30

[17] ينظر: النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعارف مصر ط3 ، 1/1-2

[18] علم الدلالة ، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة مصر، ط5 ، 1998م ، ص13

[19] ينظر : علم الدلالة دراسة وتطبيقات ، عقيد خالد حمودي العزاوي دار العصماء دمشق سوريا ط1 1434ه/2013م ، ص44

[20] علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق ، فايز الداية ، دار الفكر دمشق سوريا دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ، ط2 1996م ، ص21

[21] ينظر : علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، هادي نهر ، دار الأمل للنشر و التوزيع ، الأردن ،ط1، 1427هـ/2007م ، ص 118

[22] النحو والدلالة ، محمد حماسة عبد اللطيف ص19

[23] فقه اللغة في الكتب العربية ، عبده الراجحي ، دار النهضة العربية بيروت لبنان ، ص 159 .

[24] ينظر : النحو و كتب التفسير، إبراهيم عبد الله رفيدة ، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان ، مصراته ليبيا ، ط3 ، 1399هـ/1990م ص9

[25] ينظر : مقدمة ابن خلدون ، ص528-530

[26] البقرة : 02

[27] ينظر : إعراب القرآن الكريم و بيانه ، محي الدين درويش ، دار ابن كثير للطباعة و النشر و التوزيع دمشق سوريا ، دار اليمامة للنشر و التوزيع بيروت لبنان ، ط7 ، 1420هـ/ 1999م ، 38/1. و ينظر: كشف المشكلات و إيضاح المعضلات ، الباقولي ، مطبعة الصباح دمشق سوريا ، تح محمد أحمد الدّالي ،

المنارة للاستشارات

1415هـ/1994م ، 13/1 . وينظر: التبيان في إعراب القرآن ، العكبري ، تح على محمد البخاري ، عيسى البابى الحلبي و شركاه القاهرة ، مصر، ص15

[28] التحرير و التنوير ، ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر تونس ، 1984م ، 219/1 .

[29] الأنعام : 121 .

[30] ينظر : إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محي الدين درويش ، 442/8-444 ، و الكشاف ، الزمخشري ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، لبنان ، د.ط،، د.ت ، 58/2

[31] آل عمران : 130

[32] الكشاف ، الزمخشري ، 442/1

[33] إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محي الدين درويش ، 529/4

[34] ينظر : التحرير و التنوير ، ابن عاشور ، 85/4

[35] الخطاب القرآني بين إشكالية الفهم و دلالة النص ، أيوب جرجيس العطية ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط1، 2012 م ، ص58 نقلا عن جامع البيان ، الطبري ،7/6 و تفسير الرازي ، 3/9 وتفسير البغوي ،103/2

[36] الأنعام : 62

[37] علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، هادي نهر ، ص122

[38] الأنعام : 145

[39] ينظر : ظاهرة الإعراب ، أحمد سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، مصر ، 1994م ، ص178-179

[40] المائدة : 06

[41] ينظر : ظاهرة الإعراب ، ص180-181 و علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، ص121

[42] الجنى الداني في حروف المعاني ، المرادي ، تح فخر الدين قباوة ، و محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط1 ، 1413هـ/1992م ، ص44.و الكشاف ،644/1-646 و مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ، شركة أبناء الشريف الأنصاري للطباعة و النشر و التوزيع ، المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، صيدا بيروت لبنان ، 2003م/1424هـ،123/1

[43] ينظر : إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محي الدين درويش ، 184/6-185 ، و المغني ، 123/1

[44] النور : 43

[45] ينظر: الجملة العربية و المعنى ، فاضل صالح السامرائي ، دار ابن حزم ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1421هـ/2000م ، ص97

[46] ينظر : علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، هادي نهر ، ص 119

المنارة للاستشارات